

دراسة في دور الكنيسة الكاثوليكية في تجارة الرق عبر المحيط الأطلسي خلال القرن 15م

*A study on the role of the Catholic Church in the Trans-Atlantic slave trade during the 15th century*أمينة فلاح^{1*}Amina FELLAH^{1*}¹ جامعة قسنطينة 3-صالح بوبنيدر، (الجزائر)، amina.fellah@univ-constantine3.dz

تاريخ النشر: 2024/12/22

تاريخ القبول: 2024/12/17

تاريخ الإرسال: 2024/05/11

Abstract:

With the beginning of the commercial activity of the European powers during the XV century, religion played a leading role in the development, support, and legalization of the transatlantic slave trade. Religious institutions are rooted in the belief that their duty to spread Christianity justifies their actions, which led them to be a major party in the adoption and dissemination of the idea of human trafficking and the enslavement of millions of Africans, and even participate in the development of this trade for wealth creation.

This research paper seeks to highlight the role religion, particularly the Catholic Church, played in the development and legitimization of the transatlantic slave trade.

A study found that theological foundations and Pauline teachings on slavery, along with the servant of God, formed the foundations for the Catholic Church's teaching on slavery and transatlantic slave trade.

Keywords: slave Trade, trans-Atlantic, the catholic church, religious dimension, wealth

ملخص:

مع بداية النشاط التجاري للقوى الأوروبية خلال القرن الخامس عشر، لعب الدين دورا رائدا في تطوير ودعم وتشريع تجارة الرقيق عبر المحيط الأطلسي. حيث تجذر لدى المؤسسات الدينية اعتقاد بأن واجبها في نشر المسيحية يبرر أفعالها، ما دفع بها لأن تكون طرفا رئيسيا في تبني ونشر فكرة الاتجار بالبشر واستعباد ملايين الأفارقة، بل والمشاركة في تطوير هذا التجارة بغرض تكوين الثروة. تهدف الورقة البحثية إلى إبراز الدور الذي لعبته الكنيسة الكاثوليكية في تطوير، تشريع، تبرير وازدهار تجارة الرقيق عبر المحيط الأطلسي.

توصلت الدراسة إلى أن الأسس اللاهوتية، تعاليم بولين Pauline حول العبودية، ولقب خادم الرب the servant of God، شكلت جميعها مرتكزات الكنيسة الكاثوليكية في بناء تعاليمها حول العبودية وازدهار تجارة الرق عبر المحيط الأطلسي.

الكلمات المفتاحية: تجارة الرق، المحيط الأطلسي، البعد الديني، الكنيسة الكاثوليكية، الثروة.

* المؤلف المرسل.

1. مقدمة

كان لتجارة العبيد عبر المحيط الأطلسي واسترقاقهم، التي بدأت في القرن الخامس عشر واستمرت حوالي أربعمئة سنة، الدور البارز في بناء الإمبراطوريات الأوروبية وتنامي ثرواتها. تورط في هذه التجارة أطراف كثيرة، يتحمل البرتغاليين الجزء الأكبر من مسؤولية نموها وتطويرها وذلك بمباركة الكنيسة الكاثوليكية.

لعب الدين المنظم دورا رائدا في تطوير ودعم وتشريع تلك التجارة، حيث تجذر الاعتقاد لدى المنظمات الدينية بأن واجبها في نشر المسيحية يبرر أفعالها، ما دفع بها لأن تكون طرفا رئيسيا في تبني ونشر فكرة الاتجار بالبشر واستعباد ملايين الأفارقة، بل والمشاركة في تطوير هذا التجارة بغرض تكوين الثروة.

بعد أن كانت الديانة المسيحية تدعو للمساواة بين الناس كافة، تخل دعائها عن هذه المثالية، وصرحوا أن المساواة تكون بالروح فقط، وأن الجسد خلق لأموال الدنيا وعليه الخضوع لكل ذي سلطان وتحمل ما يلاقه من ألم وعذاب.¹ هذه التطورات دفعت الكنيسة للاعتراف بشرعية الرق، فاتبعت الباباوات هذا المبدأ وأباحوا الاسترقاق، لأن الرق في نظرهم كفارة عن ذنوب البشر يؤديها هؤلاء الرقيق لما استحقوا من غضب السيد الأعظم.² لهذا، أجازت الكنيسة في فترة يوجين الرابع وخلفاؤه حملات خطف الرقيق التي كان يقوم بها البرتغاليون.

أهداف الدراسة: تهدف الورقة البحثية إلى:

- إبراز الدور الذي لعبه الدين وتحديد الكنيسة الكاثوليكية في تطوير ودعم وتشريع تبرير وازدهار تجارة الرقيق عبر المحيط الأطلسي.
- توضيح أهم النصوص التاريخية الدينية التي استخدمها رجال الدين لتبرير وتقنين تجارة الرقيق وجنى الثروة من ورائها.

استنادا لما سبق، ينصب التساؤل الرئيسي للورقة البحثية حول البحث في الطرق التي انتهجتها الكنيسة الكاثوليكية لتأسيس، تقنين وتبرير نظام العبودية وتجارة الرق بما أسهم في تطور وازدهار هذه التجارة عبر المحيط الأطلسي.

تحقيقا للأهداف السابق ذكرها، اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي بصفة أساسية بحكم الطبيعة الوصفية للدراسة، إلى جانب توظيف المنهج التاريخي لتتبع النصوص التاريخية الدينية التي استخدمتها الكنيسة الكاثوليكية في تبرير و تقنين تجارة الرق عبر المحيط الاطلسي.

2. جذور وأفكار حول العبودية

تأسست الكنيسة الكاثوليكية الاولى داخل مجتمع ملئ بالعبيد ومالكهم، لذا نجد تكرار استخدام مصطلحي العبودية والعبيد بشكل ملحوظ في العهد الجديد. استخدمت هذه الدلالات اللغوية لإيجاد المصوغات الدينية للسماح بالعبودية، وإعطاء المبررات لوجودها

1.2 الدلالة اللغوية لمفهومي العبودية Douleia والعبيد Doulos في العهد الجديد:

تم استخدام كلمة douleia (δουλεία) التي تعني العبودية، كلمة **doulos** (δούλος) التي تعني العبيد، كإشارة إلى العبودية في العهد الجديد³. كما استخدمت كلمتي **Douleia** و**Doulos**، في الترجمة اليونانية للأسفار العبرية (العهد القديم) التي استخدمتها الكنيسة الاولى والتي تعرف باسم Septuagint، للدلالة على **עֶבֶד** 'ebed' ومرادفاتها وفي حالات قليلة **עֲבָד** والتي تعني العمل، التعويض، المكافأة⁴.

تكرر استخدام كلمة العبيد Doulos 124 مرة، وظف أغلبها في رسائل ماثيو Matthew وبولين Pauline، كترجمة لمفهومي الخادم والعبد. وكلا المفهومين مختلفين من حيث المعنى، فكلمة **العبد** تعني أن الشخص مملوك وتخضع إرادته لسيده، في حين أن كلمة **الخادم** تعني أنه لا يمكن امتلاك الشخص بشكل دائم، فهو يؤدي الخدمة فقط للمالك بموجب اتفاق⁵.

تم استخدام مفهوم العبودية ولكن ليس في نفس السياق الذي يعني امتلاك شخص لشخصاً آخر. تم توظيف كلمة العبودية في رسائل بولين بالمعنى السلبي كنفى للحرية. ويشير الاستخدام المجازي لـ *douleia* في العهد القديم إلى "الوضع أو حالة الخضوع، الخنوع"⁶.

كما استخدمت كلمة **Doulos** للإشارة إلى العبد بالمعنى العلماني والديني. استخدم المعنى الديني بشكل مجازي. أشارت بعض النصوص إلى معناها العلماني في دلالة إلى "العبد". دل استخدام كلمة *doulos* وما يقابلها في العهد القديم إلى وجود العبودية في ذلك الوقت. كما استخدمت *Doulos* على المستوى الديني للإشارة إلى العلاقة بين المسيحيين والرب. اندمج العبيد في المجتمع المسيحي المبكر ولم يكن وضع العبيد أو السيد مهما كثيراً في المجتمع، بل كانت علاقة العبيد بالرب أكثر أهمية⁷.

3. البدايات الاولى لتجارة الرق عبر المحيط الأطلسي

بعد اكتشاف كريستوفر كولومبوس لأمريكا عام 1492، تنامت تجارة الرقيق عبر المحيط الأطلسي التي ربطت أوروبا بأمريكا وإفريقيا. كانت تجارة مخططة وموجهة ونفذت وفقاً لأهواء ونزوات بعض الدول الأوروبية. شارك الملوك والأمراء والبرلمانات الحاكمة والكنائس للعديد من الدول الأوروبية الكبرى بشكل نشط في تنظيم ونشر هذه التجارة الرقيق⁸. خلال فترة زمنية قصيرة ازدهرت تجارة الرقيق وجذبت إليها جميع الدول الأوروبية الرئيسية: البرتغال وإسبانيا وفرنسا وهولندا، إنجلترا والسويد والدنمارك في تنافس اقتصادي محموم على مياه المحيط الأطلسي قادهم إلى استخدام كل الوسائل بغرض التفوق على بعضهم البعض.

1.3 أسباب تجارة الرق عبر المحيط الأطلسي:

من أجل فهم أفضل، سنحاول من خلال هذا العنصر الكشف عن الأسباب التي دفعت إلى إنشاء وتعزيز تجارة الرقيق والمتمثلة في:

- حروب التوسع الداخلية: خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر كانت القارة الأوروبية بحاجة كبيرة للبقاء والاستمرارية. لهذا شهدت هذه الفترة حروب داخلية عديدة من أجل التوسع الإقليمي كان أبرزها الحرب الفرنسية -الإنجليزية المعروفة بـ "حرب المائة سنة" والتي بدأت عام 1337 واستمرت حتى منتصف القرن الخامس عشر.

- الحملات الصليبية المسيحية الكبرى: من أجل نشر العقيدة المسيحية والحفاظ عليها والدفاع عنها، قام مسيحيو أوروبا ضد بعضهم البعض وكذلك ضد الدين الإسلامي المتشدد وسيطرته على الأرض المقدسة والأماكن التي كانت تنتمي سابقاً إلى العالم المسيحي. في هذا السياق، هناك من برر دوافع استعباد سكان أفريقيا بالانتقام من المسلمين الذين فتحوا الأندلس وحكموا شبه جزيرة إيبيريا منذ سنة 92هـ (711م)⁹.

- الكوارث الطبيعية والأوبئة: التي دمرت آلاف الأرواح والممتلكات في أوروبا خلال هذه الفترة، أبرزها " الموت الأسود " (1347-1350) تسبب هذا الوباء المدمر خسارة كبيرة في عدد سكان أوروبا.

فرضت كل تلك الضغوط على الدول الأوروبية ضرورة البحث في أماكن خارج أراضيها عن الموارد البشرية، الأرض للزراعة والقوى العاملة والمحاصيل الغذائية والموارد الصناعية، بغرض الحفاظ على أمتهم.

قدمت غرب إفريقيا والشرق الأقصى وآسيا منفذاً تجارياً، لكن بسبب معارضة القوى العربية الإسلامية إلى جانب الحروب الصليبية منعهم من الاستفادة القصوى من تلك الرحلات. لذلك كانت هناك حاجة للقيام برحلة بحرية إلى مصدر ثروة غرب إفريقيا والهند، وتم اكتشاف طريق تجاري جديد من غرب إفريقيا إلى الهند.¹⁰

على شاكلة العرب، قام الأوروبيون خلال حملاتهم الصليبية في القرن الثالث عشر بزراعة مزارع قصب السكر في سوريا وفلسطين بمساعدة العبيد. لكن نتيجة المقاومة العربية

الإسلامية، تم تهجيرهم ولم يتمكنوا من جني المحاصيل فتوجهوا غربا لزراعة السكر. ورغم موثمة الظروف المناخية والأراضي الخصبة في قبرص، صقلية، اسبانيا، جنوب إيطاليا والبرتغال، إلا أن الأراضي لم تكن كافية للزراعة، فظهرت الحاجة لاكتشاف أراضي جديدة خارج أوروبا، وتم زراعة قصب السكر الخام في جزر الكناري الإسبانية وجزر الرأس الأخضر وجزر الأزور البرتغالية. بعد ذلك، ظهرت الحاجة للبحث عن اليد العاملة منخفضة التكاليف، فتم جلب العبيد من مناطق مختلفة من البحر المتوسط.

ورغم العلاقات التجارية الطويلة للبرتغاليين والاسبان مع التجار العرب المسلمين، وتجنباً لتضارب المصالح مع المسلمين العرب، الذين كانوا يسيطرون بشكل كامل على الطرق البرية عبر الصحراء المؤدية إلى المنتجات الأفريقية الموجودة في غرب ساحل المحيط الأطلسي لإفريقيا، استغل البرتغاليون تفوقهم في الملاحة البحرية لاكتشاف طريقاً جديداً للوصول إلى مصدر تلك المنتجات عن طريق الرحلة البحرية.

- اكتشاف كريستوفر كولومبوس لأمریکا في عام 1492: تم تشجيع كولومبوس ودعمه بشكل كبير من قبل التاج الإسباني على وجه التحديد، الملك فرديناند والملكة إيزابيلا للقيام برحلة إلى آسيا من أجل فتح علاقة تجارية جديدة مع شعوب هذه المنطقة. لكن كولومبوس اكتشف جزر الهند الغربية التي تتوفر على كميات كبيرة من الذهب، الفضة، وتم قمع مقاومة السكان المحليين وإنشاء مستعمرات إسبانية بتلك المناطق وتحولت وضعية الهنود من سكان أصليين إلى وضعية العبيد.

من أجل فرض السيطرة الكاملة على الجزر المكتشفة في الأمريكيتين، وتجنب أي تنافس على المكاسب والأرباح التي تجنيها من استثماراتها في هذه المستعمرات، سعى ملك إسبانيا، تحت غطاء التوسع التبشيري للكنيسة في المستعمرات الجديدة، إلى تأمين الحصول على إذن

وسلطة البابا ألكسندر السادس على جميع المناطق.¹¹ الإذن والسلطة الممنوحين للملك الإسباني، وردت في الكتاب البابوي "Inter Cetera" للبابا ألكسندر السادس في عام 1493.

2.3 الدولة والكنيسة شركاء في تجارة الرق عبر المحيط الأطلسي:

يؤرخ المختصون بشكل دقيق للحظة انطلاق عملية استعباد الأوروبيين للأفارقة، في العام 1494 للميلاد، حين أصدر البابا ألكسندر السادس، معاهدة "تورديسلاس" التي أنهت الخلافات الإسبانية- البرتغالية حول الأراضي المكتشفة، حيث منحت المعاهدة أرض البرازيل والغرب الأفريقي للبرتغال، وهو ما شكّل أول جسر أطلسي لنقل العبيد الأفارقة نحو أمريكا الجنوبية بهدف استغلالها اقتصادياً، وشكّلت مباركة الكنيسة الكاثوليكية لهذه الممارسة النافذة التي دخلت منها باقي الدول الأوروبية معترك التنافس حول الاتجار بالإنسان الإفريقي.¹²

تشاركت الكنيسة والدولة بشكل مباشر وغير مباشر في التجارة عبر المحيط الأطلسي، فكلاهما سن قوانين لدعم بعضهما البعض. اعتمدت الدولة على الكتب المقدسة اليهودية والمسيحية والتصريحات الكنسية كقوة دفع للتجارة. حيث أسهمت تلك الكتب والممارسات الدينية في التأثير على الثقافة الاستعمارية للدول الأوروبية. كانت التعاليم الاجتماعية المسيحية التي جاء بها الانجيل أو الكتاب المقدس مسؤولة عن العلاقات غير المتكافئة التي كانت قائمة بين السيد والعبد في الأمريكيتين¹³ واستخدمت البعثات التبشيرية الكتاب المقدس لتبرير إخضاعها للأفارقة، لدرجة أن المسيحيين البيض وصلوا إلى جنوب إفريقيا شعروا أنهم شعب الله المختار في مهمة إلهية.¹⁴

استخدم بعض التجار سفر اللاويين **Leviticus 25:46** (هو ثالث أسفار موسى الخمسة و العهد القديم و يحظى بقدسية كبيرة لدى الطوائف المسيحية و اليهودية . اللاويين هم أحد أسباط بني إسرائيل الاثنا عشر.) لشراء العبيد والاحتفاظ بهم ووجدوا أن التجارة كشيء منصوص عليه إلهياً في الكتب المقدسة¹⁵. واعتبروا أن تجارة الرقيق ضرورية لوجود الدولة. من

جانب آخر، انغمس بعض المبشرين والرهبان والراهبات في هذه التجارة وشهدوا الفظائع التي تعرض لها العبيد قبل نقلهم إلى الأمريكيتين.

رغم أن الكنيسة كانت شريكاً في تجارة الرقيق عبر المحيط الأطلسي إلى جانب المؤسسات السياسية للدولة التي كانت تؤويها وتشارك فيها، إلا أن بعض الطوائف المسيحية أوجدت وعياً للإنسانية بفظائعها. فمثلاً أثار قرار إنهاء تجارة الرقيق في الولايات المتحدة الأمريكية جدلاً واسعاً بالنسبة للطوائف المسيحية لدرجة أنه، باستثناء الكاثوليك والأسقفية، عانت معظم الطوائف الأخرى من الانقسام.

كما تصاعد الجدل والنقاش بين الدولة والكنيسة حول مسألة ما إذا كان العبيد وامتلاك العبيد خطأ أخلاقياً أم لا. في عام 1537 أعلن البابا بولس الثالث Sublimis Deus أن جميع الشعوب بشر ولديهم الحق في حريتهم ولا ينبغي استعبادهم¹⁶. لاقى هذا الإعلان استياء الإمبراطور تشارلز الخامس للإمبراطورية الرومانية في ذلك الوقت ودعى إلى إلغائه. وعلى نفس المنوال، قبل إعلان البابا أوربان الثامن ضد العبودية عام 1639 بمعارضة الحكومة البرتغالية.¹⁷

4. الأساس اللاهوتي للعبودية في الكنيسة الكاثوليكية والتأسيس لنظام العبودية

ارتكز التبرير الذي استندت إليه الكنيسة الكاثوليكية لتأسيس نظام ومؤسسة العبودية على دعامتين أساسيتين: أولاً على تعاليم بولين Pauline حول العبودية. ثانياً، على لقب خادم الرب **the servant of God**، وهو لقب يسوع المسيح، الموجود في كريستولوجيا الكنيسة مع ارتكازه على تفسير نبوءة إشعيا Isaiah الواردة فيها. تتداخل هاتين الدعامتين مع بعضها البعض لتشكلا أسس وجوهر تعاليم الكنيسة الكاثوليكية حول التفسير اللاهوتي للعبودية، إلى جانب التفسير الثيولوجية لخطيئة سام.

1.4 العبودية في تعاليم الحواري بول Apostle Paul:

من بين المعلمين الأوائل للكنيسة الكاثوليكية الذين شهدوا عن كثب وضعية حياة العبيد في المجتمع، كان رجل طرسوس والرسول العظيم للوثنيين - القديس بول St. Paul. أدرك الحواري بول رسالة المسيح التحريرية وواجه معاناة واضطهاد أعضاء المجتمع المستعبدين وكذلك أعضاء جماعته المسيحية. كان بول مدركاً أن العبء الاقتصادي والاجتماعي للمجتمع الذي يعيش فيه يقع على عاتق العبيد، الذين كانت مكانتهم في المجتمع متدنية مقارنةً بمن ولدوا أحرار.

يظهر السياق التاريخي أن العبودية في أيام بول لم تكن قمعية مثل أشكال العبودية اللاحقة. كانت هناك العديد من الشخصيات البارزة من العبيد، بمن فيهم المدرسون والكتاب والسياسيون والحرفيون والفلاسفة. كان بعض العبيد أفضل حالاً من الناحية المالية من العديد ممن ولدوا أحراراً أو اشتروا حريتهم.¹⁸

على الرغم من أن بول لم يدين ممارسة العبودية، لكن كان همه الوحيد هو تقديم منظور حول كيفية العيش كمسيحيين داخل الهيكل الاجتماعي الاقتصادي على مستوى الإمبراطورية. فكما أنه لم يحاول أبداً تقويض البنية السياسية الرومانية (على الرغم من عيوبها وانحرافات حكامها)، فهو لم يشارك في الاحتجاج الاجتماعي ويقود ثورة ضد مساوئ مؤسسة العبودية¹⁹. أرست تعاليم بول إرثاً لمعاملة العبيد المسيحيين كأشخاص بشر بكرامة، على قدم المساواة مع أسيادهم في روح الأخوة المسيحية.

- العبودية في القوانين المنزلية والرسائل الكهنوتية أو الإنجيلية Deutero-Pauline

تشير رسائل Deutero-Pauline إلى الرسائل القانونية في العهد الجديد من الكتاب المقدس والتي اعتقد اللاهوتيون أنها لم يكتبها الحواري بول Apostle Paul نفسه بل كتبها بول ثانٍ، ومن هنا جاء مصطلح "رسائل" Deutero-Pauline.²⁰

تمت كتابة هذه الرسائل أولاً وقبل كل شيء لتأسيس هياكل تنظيمية كالخدام، إلى جانب وضع تعليمات للكنائس المسيحية التي أسسها بول والتي توفر الرعاية الرعوية للمسيحيين في هذه الكنائس. ثانياً، كتبت بغرض الدفاع عن الرسالة المسيحية لبول ضد هجمات الأعداء الذين كانوا يحاولون تعليم المسيحيين إنجيلاً آخر غير الرسالة الحقيقية التي بشر بها الرسول بول.

ومن بين تلك الرسائل، نذكر على سبيل المثال، **Colossians 3:18-4:1** التي دعى مؤلفها العبيد إلى طاعة أسيادهم كما لو كانوا يطيعون المسيح، هذه الخدمة يجب أن تنبع من القلب وليس فقط بهدف ارضاء سيده، وهذا أهم ما جاء فيها:²¹

"أيها العبيد ، أطيعوا أسيادكم البشريين في كل شيء ، ليس فقط عند مراقبتهم لكم للحصول على استحسانهم؛ بل افعلها بقلب صادق بسبب احترامك للرب ... اعمل من كل قلبك كما لو كنت تعمل من أجل الرب وليس من أجل الرجال. تذكر أن الرب سيكافئك مما احتفظ به لشعبه لان المسيح هو المعلم الحقيقي الذي تخدمه ..."

ما يلاحظ على هذه التعاليم: هو تركيزها على العبيد بشكل كبير مصورة اياهم بأنهم أضعف الشركاء ضمن العلاقات الاسرية الثلاث، طاعة العبيد لسيده أو رب الأسرة لا تترك له أي مجال للنقاش. إلى جانب ذلك، تم إضفاء البعد الاخروي على واجبات العبيد ومعاناتهم. كل ذلك دليل واضح على أن هذه التعاليم المنزلية تتبع النمط الهرمي والسلطوي لقوانين الأسرة في النظام اليوناني الروماني، حيث لم يكن لدى العبد أي حقوق ولا كرامة إنسانية بل واجبات فقط.

تظهر أهمية تلك القوانين والرسائل، في أنها شكلت المصوغات والمبررات في جعل الكنيسة الكاثوليكية الرومانية تقبل العبودية كمؤسسة أرادها الله، بما أدى إلى قبولها لها دون إثارة أي تساؤلات أخلاقية حول صلاحها أو سوءها، وبالتالي لم تهتم بإدانتها، وتجنب الحديث عن طرق إلغائها.

2.4 العبودية في ضوء لقب خادم الرب "المسيح عيسى":

خادم الله المتألم (خلاص الرب ebed Yahweh) المذكور في سفر إشعياء Isaiah - إشعياء هو نبي من بني إسرائيل في القرن الثامن قبل الميلاد وسمي سفر إشعياء على اسمه، وهو أحد الرسل الأكثر شهرة في الكتاب المقدس لتنبئه بمجيء المسيح المنتظر Messiah، الذي سيفدي شعبه من خطاياهم - هو أساس لاهوتي آخر استندت إليه الكنيسة الأولى بتشكيل موقفها حول مسألة العبودية.

التفسير المقدم لهذه النبوة في كريستولوجيا الكنيسة الكاثوليكية هو التطابق بين تألم الخادم أشعيا وتجسد المسيح وموته. أصبح العبد المتألم لنبوة إشعياء بمثابة تصور مسبق ليسوع المسيح كخادم حقيقي لله الذي سينفذ مهمة الرب في العالم من خلال الطاعة الكاملة للآب. كانت معاناته وموته تعويضي جدا بمعنى أنه عانى ومات من أجل الذنوب، الظلم والخطيئة التي لم يرتكبها. باستخدام هذا النص، رأت الكنيسة في المسيح المعذب والمذل مثالا لأولئك الذين يتألمون ويتحملون عبء العقاب الذي لا يعرفون عنه أي شيء.

دعى الرسل وآباء الكنيسة الأوائل جميع المؤمنين المسيحيين لاتباع هذا التواضع المطلق والطاعة غير المشروطة للمسيح لله في جميع تعاملاتهم. وتم ذلك بهدف جعلهم يشعرون بالرضا عن ظروفهم المزرية والعبودية كطريق للإيمان. وعلى نفس المنوال، طبق الآباء المسيحيين الأوائل هذه التعاليم حول موضوع العبودية، حيث عرض على العبيد صورة المسيح المتألم لأجل محاكاته. تم ذلك بهدف جعلهم يشعرون بالرضا عن النفس مع ظروف الألم والعبودية كطريق الإيمان. تماما مثلما سمح الله لعبده الأمين البريء (δούλος Θεού) أن يتحمل عبء وعقاب إثم جميع البشر، كذلك سمح للعبيد أن يتحملوا عبء المجتمع الذي يقيدهم بالعبودية.²²

3.4 التفسيرات الثيولوجية لخطيئة حام:

إلى جانب القوانين المنزلية ولقب خادم الرب، تم تبرير العبودية واضطهاد شعوب الأمم الأخرى، ولا سيما الهنود والأفارقة، بنصوص العهد القديم Old Testament، تحديدا ما جاء في سفر التكوين Genesis (سفر التكوين هو أول أسفار الكتاب المقدس العبري والعهد القديم المسيحي، يعد مصدرا للرواية الدينية حول قصة الخلق وأصول اليهود) الفصل التاسع 9: 24-27، بشأن لعنة النبي نوح لابنه حام، هذا نصها: ²³

²⁴ When Noah awoke from his wine and found out what his youngest son had done to him, ²⁵ he said,

"Cursed be Canaan!
The lowest of slaves
will he be to his brothers."

²⁶ He also said,

"Praise be to the Lord, the God of Shem!
May Canaan be the slave of Shem.

²⁷ May God extend Japheth's²⁴ territory;
may Japheth live in the tents of Shem,
and may Canaan be the slave of Japheth."

20 وَابْنُ نُوحٍ يَكُونُ فَلَاحًا وَغَرَسَ كَرْمًا. 21 وَشَرِبَ مِنَ الْخَمْرِ
فَسَكَرَ وَتَعَرَّى دَاخِلَ خَبَانِهِ. 22 فَأَبْصَرَ حَامُ أَبُو كَنْعَانَ عَوْرَةَ
أَبِيهِ، وَأَخْبَرَ أَخُوَيْهِ خَارِجًا. 23 فَأَخَذَ سَامُ وَيَافֶثُ الرَّدَاءَ
وَوَضَعَاهُ عَلَى أَكْتَافِهِمَا وَمَشَى إِلَى الْوَرَاءِ، وَسَتَرَا عَوْرَةَ أَبِيهِمَا
وَوَجَّهَاهُمَا إِلَى الْوَرَاءِ. فَلَمْ يَبْصُرَا عَوْرَةَ أَبِيهِمَا. 24 فَلَمَّا اسْتَبْقَظَ
نُوحٌ مِنْ خَمْرِهِ، عَلِمَ مَا فَعَلَ بِهِ ابْنُهُ الصَّغِيرُ، 25 فَقَالَ: «مَلْعُونٌ
كَنْعَانُ! عَبْدُ الْعَبِيدِ يَكُونُ لِأَخُوْتِهِ». 26 وَقَالَ: «مُبَارَكُ الرَّبِّ إِلَهُ
سَامُ. وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْدًا لَهُمْ. 27 لِيَفْتَحِ اللَّهُ لِيَافֶثُ فَيَسْكُنَ فِي
مَسَاكِنِ سَامَ، وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْدًا لَهُمْ».

وعليه، تم الاستناد إلى هذا النص لتطوير الفرضية الحامية والسلوكيات تجاه العبودية ²⁴. سعى النص إلى توضيح أن العبودية لم تكن بإرادة الله في الخليقة، بل كانت نتيجة لعنة نوح على كنعان بن حام ²⁵. هذا التفسير يعني أن خضوع العبد لسيده كانت ممارسة مقبولة إلهياً.

4.4 اليسوعية كطريق للتبشير والاستعباد:

تظهر المعالم التاريخية لتورط اليسوعيين في نظام العبودية عن اتباعهم نهج التاريخ العالمي لمجتمع يسوع منذ بدايته الأولى وحتى عصر الإلغاء والتحرر في القرن التاسع عشر ²⁶. برر اليسوعيون، وهو نظام ديني للكنيسة الكاثوليكية، العبودية كطريق للتبشير، لكن هذا لم

يجعل الأشخاص الذين تم استعبادهم بمنى عن الاستغلال والوحشية ونزع الصفة الإنسانية التي كانت مركزية في نظام العبودية على شاكلة بقية المستعبدين، أجبر اليسوعيين المستعبدين على العمل في "مزارع السكر اليسوعي، ومزارع الماشية، ومزارع التبغ ومزارع الكروم وكخدم في المنازل" ²⁷. وفر بذلك نظام العبودية أرباحا ويد عاملة دعمت المدارس والكنائس اليسوعية والبعثات التبشيرية.

من خلال الممارسات الخاصة، صاغ اليسوعيين نموذجا كاثوليكيا للعبودية ²⁸، عندما باشر اليسوعيين في استخدام العبيد كعمال، طوروا مجموعة من الأفكار متجذرة في الأفكار القديمة حول من يمكن استعباده بشكل شرعي ولماذا، وكيف ينبغي معاملة العبيد ²⁹. بداية من القرن السادس عشر إلى غاية القرن الثامن عشر، كان اليسوعيين روادا لما أطلق عليه المؤرخ Robin Blackburn اسم "الباروك" (baroque) وهي شكل من أشكال العبودية المرتبطة بـ "الحداثة البديلة" للإصلاح المضاد (شكل قديم وتقليدي للسيطرة). ³⁰

سارع اليسوعيين بالانخراط في تجارة الرقيق داخليا وخارجيا، أين عاشت أعداد كبيرة من العبيد في مدن الموانئ الأوروبية العالمية مثل لشبونة وإشبيلية وروما حيث وطن اليسوعيين أنفسهم. تنوع العبيد، ما بين المسلمون والموريسكيون (المسلمون الذين تحولوا إلى المسيحية وأحفادهم)، والأفارقة الشماليون والأفارقة من جنوب الصحراء الكبرى، والإندوس (السكان الأصليون) الذين تم الاتجار بهم من الأمريكيتين وآسيا ³¹. انبثق تبرير ومشاركة اليسوعية في مجمع العبودية الأطلسي Atlantic slaving complex من انخراطها في الروابط البرتغالية بين غرب وغرب وسط أفريقيا والبرازيل.

كشف التأريخ المتواصل أن مشكلة العبودية لم تكن مشكلة أطلسية فقط، بل انغمس اليسوعيين في عقد وشبكات العبودية عبر المحيطين الهندي والهادئ. في مقال نشر عام 2004، لفت توماس نيلسون Nelson Thomas الانتباه إلى النقاشات اليسوعية حول تورط

البرتغاليين في العبودية والاتجار بالبشر في اليابان أواخر القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر³². كما أظهر الكاتب Lúcio de Sousa أن اليسوعيين كانوا متواطئين في تجارة الرقيق البرتغالية من اليابان بين عامي 1560 و1598؛ أين كان يقدم القساوسة اليسوعيين "أوراق الاقتراع" ballots لصالح تجار الرقيق البرتغاليين لإضفاء الشرعية على مشترياتهم³³.

في الأمريكيتين، لم يبرر اليسوعيين العبودية الأفريقية على المستوى الأيديولوجي فقط؛ بل أصبحوا ملاك عبيد رئيسيين. قدر Andrew Dial في مقالته أن مجتمع يسوع the Society of Jesus استبعد أكثر من عشرين ألف شخص من كيبك إلى كيتو بحلول منتصف القرن الثامن عشر، وأكثر من نصفهم في البرازيل والبيرو³⁴. خلال الإصلاح البروتستانتي في القرن السادس عشر، انفصلت عدة مجموعات من المسيحيين الأوروبيين بشكل رسمي عن الكنيسة الرومانية الكاثوليكية³⁵. دعمت هذه الكنائس البروتستانتية الجديدة أيضا الاتجار عبر المحيط الأطلسي واعتقدت أن تجارة الرقيق متوافقة تماما مع تعاليم المسيحية.

على غرار الكنيسة الرومانية الكاثوليكية، لم تعلن كنيسة إنجلترا عن جهاز أيديولوجي لدعم العبودية القائمة على العرق فحسب، بل شاركت أيضا بشكل مباشر في عملية الاتجار والاستعباد. كانت كنيسة إنجلترا تمتلك وتدير Codrington، وهي مزرعة سكر مربحة في بربادوس Barbados حيث يعمل أكثر من 275 من الرجال والنساء والأطفال المستعبدين في ظروف قاسية وحارة لزراعة السكر وحصاده وإنتاجه، الأمر الذي يتطلب من العامل الوقوف فوق قدر يغلي لأكثر من 12 ساعة في كل مرة³⁶. كان الموت المبكر متوقعا والإصابات المدمرة شائعة، لاحظ زوار مزرعة السكر أنه تم الاحتفاظ بالفئوس في مكان قريب واستخدامها لقطع أطراف العبيد الذين علفت أصابعهم في المصنع. وأولئك الذين يحاولوا الفرار، يتعرضوا للجلد والوسم وإجبارهم على ارتداء أطواق حديدية، إلا أن السجلات أظهرت محاولات عديدة للفرار³⁷.

5.4 العبودية في المراسيم والمجالس الكنائسية:

استخدمت الكنيسة وسائل عدة بهدف حماية مؤسسة العبودية لفترة طويلة، وهذا من خلال العديد القرارات التي اصدرتها المجالس الكنائسية. كان الهدف من قراراتها هو ثني كل من المفكرين الجدد عن طرح أي أفكار مقنعة جديدة من شأنها أن تتحدى موقفها الطويل الأمد بشأن مسألة العبودية. من أقدم الوثائق للكنيسة المسيحية الأولى التي تضمنت بعض قرارات الكنيسة بشأن مؤسسة العبودية هي Didache.

Didache ديداش هي وثيقة قديمة للكنيسة الكاثوليكية تعطي نظرة ثاقبة لعمليات الكنيسة في المائة عام الأولى من وجودها. يطلق عليه أحيانا اسم " Doctrina Apostolorum " أو "تعليم الرب من خلال الرسل الاثني عشر إلى الأمم". لا يوجد تاريخ محدد لكتابته الا أنه يعتقد أنها كتبت ما بين عامي 80 م و 100 م³⁸. في هذه الوثيقة، لم تنتقد الكنيسة العبودية، لكنها اقتصرت على إظهار وجهها إنسانيا. وكأمثلة عن المجالس الكنائسية نذكر³⁹:

- المجلس العام لغانغرا **the general Council of Gangra** المنعقد عام 345 م، شرع أعضاء المجلس ضد حرية العبيد عن طريق العتق وفرضوا عقوبة الحرمان على كل من يشجع العبيد على الهروب من أسيادهم. في القانون الثالث لهذا المجلس، قرر آباء المجلس ما يلي: "من علم أحد العبيد، بحجة التقوى أو الدين، أن يحتقر سيده وأن يهرب من خدمته، وألا يخدم سيده بالخير، ستحل عليه اللعنة."

- مجلس قرطاج **The Council of Carthage** المنعقد في عام 419 م، أيد المرسوم السابق وذهب إلى حد رفض الاعتراف بحقوق العبيد الذين حصلوا على حق التصويت في الإدلاء بشهادتهم في المحكمة القانونية.

- مجلس أورليانز الرابع **the Fourth Council of Orleans** المنعقد في فرنسا

عام 549م، رفض آباء المجلس الاعتراف بعق العبيد الذين كان أجدادهم عبيدا للكنيسة.

- المجلس الرابع في توليدو **the Fourth Council of Toledo** (في إسبانيا

الحديثة) الذي عقد عام 633 م وحضره 62 أسقفاً محلياً، وافق آباء المجلس على العبودية كممارسة تتوافق مع القانون الإلهي.

5. خاتمة

ارتكزت الكنيسة الكاثوليكية في تأسيسها، تبريرها وتقنينها لنظام العبودية وتجارة الرق عبر المحيط الأطلسي إلى المنهج القائم على:

- الأسس اللاهوتية، فالكنيسة لم تعتبر العبودية شيئاً سلبياً، بل اعتبرتها متوافقة مع المجتمع، وأن تقبل المجتمع المسيحي للعبودية لن يعيق تقدم الكنيسة، بل ضمن لها القبول والتواجد في مجتمع مليء بالعبيد من قبل.

- وضع مجموعة من المراسيم والمجالس الكنائسية بغرض حماية موقفها اتجاه تجارة الرق.

- الاستناد إلى تعاليم بولين **Pauline** حول العبودية، وإلى لقب خادم الرب **the servant of God**، في بناء تعاليمها حول مؤسسة العبودية.

استطاعت الكنيسة من خلال كل هذه التعاليم والنصوص الدينية، من حماية موافقتها وموقفها من مؤسسة العبودية لعدة قرون في وجه الآراء المعارضة لها حول أخلاقية العبودية. وبهذا، كانت تعاليمها حول أصل وسبب العبودية من العوامل التي أسهمت بشكل كبير في تمسكها بشدة بموقفها من العبودية لفترة طويلة جداً.

¹ سلاماني، عبد القادر، الاستعمار وظاهرة الرق في إفريقيا الغربية: السنغال نموذجا 1854-1960. أطروحة دكتوراه غير منشورة. جامعة وهران 1، الجزائر، 2015.

² نفس المرجع.

³ Antwi. E. K. E. Church involvement in the trans-Atlantic slave trade: its biblical antecedent vis-à-vis the society's attitude to wealth. *Studia Historiae Ecclesiasticae*, 44(2), 2018. 1-19. <https://dx.doi.org/10.25159/24124265/3245>

⁴ Ibid.

⁵ Ibid

⁶ Danker F, W. A Greek-English Lexicon of the New Testament and other Early Christian Literature .The University of Chicago 2000 .

⁷ Emmanuel Kojo Ennin Antwi. ibid

⁸ Pius Onyemehi. A .The Popes, the Catholic Church and the Transatlantic Enslavement of Black Africans, 2017 P 1418-1839. Hildesheim · Zürich.

⁹ عايدة العزب، موسى، تجارة العبيد في أفريقيا. القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 2007.

¹⁰ Ibid.

¹¹ Adiele. Opcit.

¹² الرقيق الأطلسي، ذكرى جريمة سوداء في جبين البشرية، 03 جوان 2020. الجزيرة الوثائقية

<https://doc.aljazeera.net/reports/2020/6/3/>

¹³ Leslie.J. R.(2010). The African Diaspora as Construct and Lived Experience: In the Africana Bible: Reading Israel's Scriptures from Africa and the African Diaspora. Hugh R. (Ed.) Fortress Press.

¹⁴ Emmanuel. opcit.

¹⁵ Ibid.

¹⁶ Chadwick, O. A History of Christianity. New York: St Martin's Press 1995.

¹⁷ Emmanuel. Opcit.

¹⁸ Lee McDonald, "Was Paul Indifferent to Slavery?" 31 may 2006 <https://www.biola.edu/blogs/biola-magazine/2006/was-paul-indifferent-to-slavery>

¹⁹ Luke Simmons, why doesn't the Apostle Paul speak against slavery? gateway redemption. 20 September 2022 <https://gateway.redemptionaz.com/articles/why-doesnt-the-apostle-paul-speak-against-slavery>

²⁰ Adiele. opcit.

²¹ Ibid.

²² Adiele. Opcit.

²³ Holy Bible. Genesis 9:24-27

<https://www.biblegateway.com/passage/?search=Genesis%209%3A24-27&version=NIV>

²⁴ Law. R The 'Hamitic Hypothesis' in Indigenous West African Historical Thought. Cambridge University Press. 2009.

²⁵ Cf. C. J. H. Wright (2004). Old Testament Ethics for the People of God. IVP Academic.

²⁶ Rothman. A (2021). The Jesuits and Slavery. Journal of Jesuit Studies.

²⁷ Rothman. A (2020). The Jesuits and Slavery. Journal of Jesuit Studies.

²⁸ opcit

²⁹ opcit

³⁰ ibid

³¹ Opcit.

³² Adam Rothman. ibid.

³³ De Sousa. L. The Portuguese Slave Trade in Early Modern Japan: Merchants, Jesuits and Japanese, Chinese, and Korean slaves. Leiden: Brill. 2019.

³⁴ Adam Rothman. Ibid.

³⁵ Adiele, Catholic Church, and Transatlantic Enslavement. Opcit.

³⁶ Hochschild. A. Bury the Chains: Prophets and Rebels in the Fight to Free an Empire's Slaves. Houghton Mifflin. 2005.

³⁷ ibid

³⁸ Adiele. opcit.

³⁹ Ibid.